



مختصر خطبة صلاة الجمعة 9/ 9/ 2022 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(مفهوم التعصب والتشدد)

التعصب هو التمسك بما قام الدليل على بطلانه، والتشدد هو الغلو في الشيء والمبالغة فيه، أما الالتزام فهو التمسك بما قام الدليل على صحته.

وقد ذم القرآن والسنة المتعصبين والمتشددين، على حين أهما مدحا المتمسكين بتعاليم الدين الملتزمين بها، قال الله تعالى في شأن تعصب المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170] إهم يتعصبون لما قام الدليل على بطلانه وينتصرون به.

وقال صلى الله عليه وسلم في ذم الغلو والتشدد: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (النسائي)، وقال صلى الله عليه وسلم: «هلك المنتطعون» (مسلم) والتنطع والغلو في الشيء هو التشدد.

وقال تعالى في حق المتمسكين بتعاليم الدين الملتزمين بها: ﴿وَالَّذِينَ يُسْكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ

الْمُضْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170] جاء في تفسير القرطبي: (يُسْكُونَ بِالْكِتَابِ: فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله تعالى وبدينه فبذلك يُمدَّحُونَ، فالتمسك بكتاب الله والدين يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك).

التعصب والتشدد نعت عنهما الشريعة، ولكنها أمرت بالتمسك بأوامرها والالتزام بنهجها ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: 43] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: 87].

وبناء على كل ما مضى فإن الطبيب الذي يخرج من جلسة المؤتمر ليؤدي صلاة المغرب ويعود، والزوجة والكنة اللتان تأبيان مخالطة الرجال، والأجير الراض للتعامل بالرشا، والشاب المعتذر عن حضور حفلة رأس السنة حفاظاً على دينه، والصديق التارك لشرب الخمر، والمحاسب الراض بتغيير الحسابات، ولو أوصله ذلك إلى الطرد من العمل، كل منهم متمسك بما قام الدليل على صحته ملتزم بأوامر ربه، صدق ما عاهد الله عليه وسيصدق الله تعالى، وهم أبعد ما يكون عن التعصب الأعمى والتشدد المقيت.

أيها الإخوة:

من الأخطاء التي وقعت في تصور بعض الناس أن خلط بين التعصب والالتزام، أو بين التشدد والالتزام، فاعتقد أن التمسك بالدين تعصباً، وأن المحافظة على تعاليم الشرع تشدداً.

فنتج عن هذا الفهم الخاطئ أن تفلت صاحبُه من أوامر الدين ونواهيه خوفاً من أن يُنعتَ بالتعصب والتشدد، ودعا الملتزمين لترك التزامهم ظناً منه أن الالتزام تشدد وتعصب، وربما أطاعه بعضهم فحمل وزراً مع وزره.

والصواب أن التعصب والتشدد نعت عنهما الشريعة؛ لأنهما يؤذيان الأفراد والمجتمعات، وينقصان مكانة المرء، بينما دعت الشريعة للتمسك بالحق والالتزام به لأنه يقوي الأفراد والمجتمعات ويدعو إلى إكبار صاحبه.

والحمد لله رب العالمين